قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

أعمال موجهة في مـادة (النقد النقد) السنة الثانية ليسانس، تخصص: دراسات نقدية

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

العمل الموجه رقم: 02+03

العنـــوان : مفهوم النقد وخصائصه/ النقد والأدب

نص تطبيقي:

"يختلف نص النقد وخطابه عن نص نقد النقد وخطابه في النوعية والمستوى؛ حيث يظهر أن "نقد النقد هو نقد في مستوى آخر من الممارسة النقدية" يتضح أن نقد النقد يتوافق مع النقد في الهوية الخطابية؛ بمعنى أن النص الثالث هو نص نقدي بدوره، لكنه نص يختلف عن النص الثاني في الهوية الترتيبية (مستوى آخر) فضلا عن ذلك، فإن النص الثالث يتعالى معرفيا، استجابة لموقعه وترتيبه، مما يجعل منه "ابستيمولوجيا نوعية خاصة بالنقد". هذا يعني أن نقد النقد ممارسة معرفية منطلقها النص النقدي (النص الثاني) أو قوامها تشييد معرفة نوعية ومميزة مخالفة للمعرفة المؤسسة في نص الانطلاق، لذلك فنقد النقد خطاب معرفي غايته تفكيك النص النقدي من أجل إعادته إلى عناصره المشكلة له وتبين العملية التي أنشيء من خلالها في محاولة جادة لتحديد الذهنية التي أنتجته".

المرجع: عبد الرحمن التمارة: نقد النقد، ص: 17.

النقد الأدبي:

يشكل النقد الأدبي موضوعا لنقد النقد، غير أن مفهوم "النقد الأدبي" أصبح اليوم، وفي ظل التضارب والاختلاف، في أمس الحاجة إلى التجديد. فاستعمال مصطلح "النقد الأدبي" بإطلاق تام قد يسيء إلى عمل نقد النقد، هذا دون أن ننسى الزوايا التي ينظر منها إليه، بحيث نصادف توجهات فنية، أو توجهات علمية، أو هما معا. بل إن النظرة العلمية للنقد بدورها تتوزع إلى زوايا مختلفة، ووجهات نظر متضاربة ما يفرقها أكثر مما يجمعها، وكلها تحاول الادعاء أكثر علمية من الأخرى إنما تتوحد في موضوع واحد هو النقد الأدبي.

إن النقد "حديث حول الأدب". أو هو ذلك "الخطاب الأخر الذي يتجشم صراحة وعلى مسؤولية نية إعطاء الأثر معنى معينا". هذه المسؤولية التي يتحملها تجعل منه "سلطة معرفية"، تتولى النظر إلى الأدب والتفكير فيه، وذلك من خلال تتبع مساراته المتنوعة، وتحولاته في الزمان والمكان، وقدرته على استيعاب الحياة الإنسانية بتشعباتها وتعقيداتها وبلورتها في مواقف جمالية معبرة.

إن بين وصف النقد الأدبي حديثا وخطابا ومعرفة تتكون إشكالية النقد. وتستعصي على التحديد لا لشيء إلا لتشعبها، ولكونها تبتعد عن التعريفات الجاهزة، والتحديدات العامة والشاملة، والتي تستهل الموضوع من مثل "مهمة النقد الأدبي تحليل الظواهر الأدبية تحليلا شاملا وتقويمها فكريا وفنيا"، وقد تحكمت في عملية تحديد النقد عبر التاريخ خضوعه للمرجع الفلسفي الذي ينطلق منه التعريف، والذي شكل دوما الخلفية الموجهة له، لذلك تعددت وجهات النظر إليه، تبعا لتعدد هذه المرجعية.

النقد والأدب:

استنادا إلى النص النقدي الآتي، ناقش معرفيا القضايا المعرفية المتحورة حول قضية النقد والأدب، وحدد ماهيتهما معا.

"فكما أن النقد موضوع لنقد النقد، فإن الأدب موضوع للنقد، النقد معرفة تمارس على الأدب، يعني أن النقد "إن لم يكن علما فهو ضرب من المعرفة أو التحصيل، بينما الأدب "فن" لكن هذا التحديد يوحي بأن الفن استمتاع، ولا مجال فيه للأفكار، بيد أن الأدب يحتوي فعلا على فكر، مما يعني أن الموضوع إشكالي، وعلى هذا الأساس يجدر بنا تعريف الأدب.

يسعى بعض الباحثين إلى تعريفه انطلاقا من صياغة سؤال من نوع "ما الذي يعد أدبا وما الذي لا يعد؟ وما طبيعة الأدب؟" وهو نفس السؤال مع اختلاف في الصياغة طبعا، نجده عند إيمانويل فريس في مؤلفه "آفاق جديدة في نظرية الأدب" حيث يقول: "بحيث صار تجديد طبيعته أمرا مضنيا، هذا أدب، ليس هذا أدبا" فما هو الأدب؟

مما لاشك فيه أن السؤال بالطريقة التي يصاغ بها "غاية في الصعوبة في نظر بول بنيشو. ومما لاشك فيه أيضا أنه سؤال قديم جديد، خاض فيه كثير من الباحثين والنقاد والأدباء في العالم، بل واختلفوا في النظر إليه تبعا لمنطلقاتهم المعرفية أو بالأحرى الايديولوجية.

وإنما أيضا بفعل التحولات والتغيرات التي طرأت على الأدب، فهو منفلت ومتغير لا يقبل الاستقرار، تحوله هذا صيره في عيون الباحثين والنقاد إلى موضوع إشكالي يستصعب على التحديد"

المرجع: عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد، ص ص: 61-42.

تطبيق:

ناقش معرفيا القضايا النقدية الواردة في هذا النص النقدي:

لقد أشار محمد الدغمومي في كتابه "نقد النقد الأدبي وتنظير النقد العربي المعاصر" إلى مفهوم النقد وخصائصه، وعلاقته بالأدب، إذ يرى أنه ليس من السهل البحث في مسألة التنظير النقدي، وليس سهلا أيضا القيام به، لأن فعل «التنظير» فعل معقد ويتم ضمن حقل المعرفة بوصفه «مشروعا» يستهدف إيجاد نظرية أو تصحيحها. وهذا المشروع لا يمكن أن يرى النور دون وجود أسئلة ملحة مستجدة؛ إذ من طبيعة «التنظير» أن يكون تفكيراً مغايراً لما سبقه يعي نفسه أولا بصفته مشروعاً، ويعي ثانيا جملة المبادئ التي تشخص هذا الوعي بدء من تمثل «موضوع» التنظير والغاية من إعادة التفكير فيه.

ومعنى ذلك أن البحث في مسألة التنظير يفضي بالضرورة إلى مجال فلسفة العلوم أو نظرية المعرفة أو ما يمكن أن نسميه اختصارا بالإبستمولوجيا، مما ينتج عنه خطاب نظري من درجة ثانية يصطلح عليه بالخطاب الماوراء –نظري أو المابعد– نظري (Méta théorique)، أي نقد النقد (Métacritique).

وإن أي طموح أو محاولة لدراسة النظريات والمشاريع التنظيرية وتفكيك منطقها أو تحليل مكونات نظامها لابد من أن يجتاز عقبة صعبة: ألا وهي عقبة النقد الأدبي نفسه؛ إذ إن التنظير –والنظرية النقدية، أساسا– ترجمة لوضع النقد من حيث مفهومه وعلاقاته وإجراءاته وموضوعه الذي هو أيضا عقبة إضافية. ومن ثم، فإن «التنظير» و «النظرية» معا هما مشروع إجابة عن سؤالين إشكاليين، سؤال النقد وسؤال الأدب، إجابة تزيد، بكل تأكيد، في تعميق الإشكاليتين، وإن بدت أنها إجابة من أجل حلهما، لأنها تقف دائما أمام إمكان المراجعة والتسفيه والاشتغال ضمن منطقة الاختلاف، ما دام سؤال «ما الأدب؟» مثل

سؤال «ما النقد؟» يمكن أن يطرح باستمرار طرحا يعلق كل جواب ويجعله مؤقتا أو ظرفيا أو متجاوزا.

إن منطلق هذه الإشكالية يظهر في اللحظة التي نتساءل فيها: ما النقد الأدبي؟ ثم يتعقد كلما رمنا تفسير كل جواب بالخوض في التفاصيل المناسبة لما نعتبره تعريفا أو مفهوما لـ«لنقد الأدبي».

وبالرغم من أن السؤال «ما النقد؟» قد يتخذ لنفسه منحى تعليميا، فإنه حتى في هذا المنحى يحمل معه ما يؤكد دائما وجود إشكال يستعصي على الحل ويقوض الجواب الواحد الحاسم.

تجلية هذا الإشكال –ولو من منطلق السؤال «ما هو»– يفرض علينا أن ننظر إلى كل ما يمكن أن يخطر ببالنا ونحن بصدد الإجابة، حتى لو رغبنا في أن يصبح السؤال سؤالا تجريبيا، إذ إن السؤال يبقى سؤالا يحتاج إلى شرح سياقه والاحتمالات المقصودة التي توجهه، يطرح أسئلة مثل:

– ما العمليات المتعددة التي يقوم بها النقاد، أي ما الذي يدور حقا في الحديث النقدي؟

– ما مدى شمولية المصطلح، أي مجاله (موضوعه)؟

– ما الخصائص المتميزة التي تجعل من بعض النصوص نقدا وبعضها نقدا رديئا وبعضها الآخر ليس نقدا.

ومعنى ذلك أن السؤال يمكن شرحه وتعيين احتمالاته بطرق متعارضة ومتباينة، إنه سؤال يحيل بالضرورة إلى «قيم» ذات مرجعيات معرفية وإيديولوجية متضاربة، بل قد يكون بعضها متداخلا أو قابلا لأن يتعايش، ويجر لزوما إلى القول بأن جوابا واحدا لن يكون حاسما، لأن كل إجابة تنطلق من تعميم قد لا تتلاءم فيه العناصر أو قد تنطلق من «ممارسة معينة» مختلفة عن ممارسة أخرى. فالسؤال إذاً «دال على التضاد القائم في هذه المؤسسة [النقد] وعلى القوة المؤسسة التي يمثلها ويعارضها في آن واحد». وهو تضاد لا يتعلق بكتابات تحمل هذه الصفة (صفة النقد) عن قصد، وإنما يتعلق بممارسة عامة غير واثقة من كيانها الخاص ولا من وظيفتها أو موضوعها.

هكذا يصبح السؤال «ما النقد؟» سؤالا غير بريء قد يوصل الجواب عنه، والغاية من طرحه إلى القول: «النقد الأدبي المعاصر لا يؤلف ميدان نظرية وتطبيق متماسكا. فحدود النقد غير واضحة وجغرافيته غير معينة، ولذلك كانت طوبوغرافيته ملتبسة».

إنه جواب قد يفهم منه استحالة الإجابة المحددة والواضحة. والأمر كذلك، لأن النقد نفسه يرفض أن يضبط معرفته ومعاييره وموضوعه ومنهجه، حتى حين يسمي نفسه نقدا ويفكر في ذاته بصفته نقداً؛ إذ بين الممارسة النقدية في تحققها وبين ما يفكر فيه النقد وما يريده مسافة شاسعة، هي «جهد» لا يستطيع أن يحيط بكل شيء عندما تنكب على «نص» بعينه: إنها ممارسة تغير جلدها دائما وتقبل أن تكون ضد نفسها وتترك الإشكال قائما آتيا من:

أ–إشكالية الموضوع الأدبي في تلونه وتغيره وكثرته وطول تاريخه؛

ب–علاقات النقد بموضوعاته إجرائيا؛

ج–طبيعة المعرفة التي يوظفها لهذه العلاقات. وهي معرفة دينامية متعددة نابعة من علوم مختلفة مجسدة في مفاهيم؛

د–شكل توظيف هذه المعرفة التي لا يبقى عليها في حدود وجودها في تلك العلوم، بتكييفها وكسر حدودها؛

هـ–المقاصد والغايات التي يريدها النقد وينجزها في حقل العلم والثقافة والتعليم والإيديولوجيا؛

و–علاقات النقد بغيره من الممارسات المعرفية وغير المعرفية.

إنها جوانب لن تمنح النقد الاستقلال و «الخصوصية» التامة بقدر ما تجعله ممارسة مفتوحة تحاور مكونات الظاهرة الأدبية: نصوصا ومؤلفين ومذاهب وقضايا.

وهذا بالضبط ما يجعل وضع النقد في مجال المعرفة وضعاً إشكالياً يشجع بالضرورة على اصطناع النظريات وتفجيرها، وترك فعل التنظير في حالة دينامية أهم من النظرية نفسها، ويترك العلائق بين النقد ونظرية الأدب، والتنظير للنقد، في حالات تقاطع دائم؛ فيسعى التنظير للنقد إلى استيعاب نظرية الأدب. ونظرية الأدب تترامى على النقد لتجعله أحد مشاكلها ومدار انشغالها حيناً، وتستهدف تنظيمه ورسم حدوده حيناً آخر. لكن نظرية الأدب تعجز عن رسم الحدود الحاسمة؛ فليس في إمكانها الحلول مكان النقد (والتنظير النقدي) ولا القيام بتعويض أدواته ومفاهيمه، أو أن تصطنع له موضوعات أو تكيف علاقته بشروط تلقي الأدب.